

إدارة الاحتلال الفرنسي وآليات كسب رهان المرأة الجزائرية 1954-1962
*French Administration Occupation and Mechanisms for Winning
the bet of Algerian Women 1954-1962*

صص 35-49

د. جمال قندل

Dr KENDEL Djamel

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

البريد الإلكتروني: Djamel.65kendel@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2019/08/26 تاريخ المراجعة: 2019/09/04 تاريخ القبول: 2019/09/05

الملخص: تتوخى هذه الدراسة، بحث قضية رئيسة ومحورية في تاريخ الجزائر المعاصر، تنضوي ضمن المقاربة التي اعتمدها الاحتلال الفرنسي خلال فترة الثورة الجزائرية، بغرض ضرب شوكتها وإضعاف قوتها على نحو يدفع باتجاه انفضاض الشعب من حولها، الأمر الذي يحول دون توسعها وتطورها. وقد تمثلت تلك القضية في مركزية دور المرأة الجزائرية باعتبارها هدفا وآلية في الآن ذاته، ضمن إستراتيجية الحرب النفسية التي أولتها أهمية كبيرة بالنظر إلى دورها الحيوي في الجزائر، راهنا ومستقبلا. ولعلّ ما زاد في سعي وحرص قادة الاحتلال الفرنسي في التركيز على المرأة هو انخراطها بشكل واع وفاعل في الثورة التحريرية. وتنطلق الدراسة التي اخترتها من وثائق فرنسية عسكرية وثائقية أعدها المكتب الخامس الذي أنيطت به مهمة الحرب النفسية التي استهدفت الثورة الجزائرية من خلال جناحيها، جبهة وجيش التحرير الوطنيين، فضلا عن المرأة التي شكلت مدار موضوع بحثي.

وعلى غرار ذلك، تقدم الدراسة، الآليات التي اعتمدت من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي لدفع وإنجاح العملية كما ترصد الإمكانيات التي وفّرت ورصدت للقائمين، رغبة في الوصول إلى إبطاء حركة الثورة على نحو متدرج، بالتركيز على مُعطى الثقة القائمة بين الشعب الجزائري الحاضن والمُموّل والمُموّل والثورة الجزائرية التي استطاعت أن تعمق التفاف الشعب حولها في الداخل، نتيجة صدق خطابها ووضوح

أهدافها وصرامة فعلها . كما أمكنها استقطاب بعض النخب السياسية والإعلامية والأكاديمية والثقافية الفرنسية والأوروبية التي تناغمت مع طرح الثورة وغدت مدافعة عن مبادئها وناشرة لأهدافها . كما ترصد الدراسة الإستراتيجية التي اعتمدتها قيادة الثورة الجزائرية، في سياق ردّها على نحو واعي على مقارنة الاحتلال الفرنسي، كسبا لرهان المرأة الجزائرية، وهو ما تجلّى في الميدان بصورة واضحة عكست حرص وصدق قيادة لثورة الجزائرية في مواجهة التحديات الحقيقية التي شكلها موضوع المرأة .

الكلمات المفتاحية: الثورة؛ الاحتلال الفرنسي؛ المقاربة العسكرية؛ الحرب النفسية؛ الأهداف العاجلة والآجلة؛ المرأة الجزائرية؛ التوظيف؛ الفرق الطبية؛ الملحقات النسوية؛ الاستيعاب؛ الثقافة الفرنسية؛ إستراتيجية الثورة الجزائرية؛ الإعلام؛ الحرب النفسية المضادة .

Abstract: The present study examines the problematic of the position of Algerian woman in the revolution of November 1954 in terms of her participation in the manufacture of the revolutionary act of different nature ,in a manner that contributed to the advancement and development of the revolution in various and varied fields inside and outside Algeria. The most important strategic mechanisms that the French occupation has succeeded in are represented in the psychological warfare mechanism adopted in parallel with the development of the revolution, and the reasons for focusing on woman as main party in the form of psychological warfare .The study I have chosen is based on French military and documentary documents prepared by the fifth office entrusted with the psychological warfare that targeted the Algerian revolution through its wings, the National Liberation Front and Army, as well as the women who formed the focus of a research topic.

In addition of this, the study examines the motives and causes of interest for Algerian women, and the mechanisms of polarization and employment to serve the objectives of the occupation project later and sooner, considering the status of women and their role, not in the process of re-liberation of Algeria from the French aggression, but in the process of change and community reconstruction according to the French perspective, Symmetry and identification.

It also attracted some of the political, media, academic and cultural elites of France and Europe, which were in tune with the revolution and became a champion of its principles and disseminated its objectives .The strategic study adopted by the leadership of the Algerian ,winning the Algerian women's bet.This was clearly demonstrated in the field ,which reflected the keenness and

sincerity of the leadership o the Algerian revolution in facing the real challenges posed by the issue of women.

Keywords: Revolution; French occupation; military approach; psychological warfare; Immediate and future goals; Algerian women; employment; medical teams; Feminist Accessories; Absorption; French Culture.

مقدمة: كان تاريخ الثورة الجزائرية ولا يزال مجالا خصبا وبكرا، وهو بحاجة ماسة للدراسة والبحث الأكاديمي القائم على استنطاق الوثائق الأرشيفية المحلية والأجنبية على حد سواء، وخاصة الفرنسية منها، بالنظر إلى الكم الكبير المخزون في مركز الأرشيف العسكري بفانسان بباريس، والذي فتح أبوابه للمؤرخين والباحثين والمهتمين، في شهر جويلية 1992 .

واللافت في مجال الدراسات التاريخية التي عالجت موضوع الثورة الجزائرية أكاديميا هو تركيزها بشكل كبير على الجانب العسكري في حركة الثورة، امتدادا وانحسارا، قياسا بالمجالات الأخرى التي شكلت أبعادا رئيسة امتدت على نطاقها الثورة في الداخل كما في الخارج، رغبة في توسيع نطاقها وامتدادها على النحو الذي من شأنه أن يفتح أمامها آفاقا تعمق الالتفاف حولها في المجتمع الدولي وتعزل إدارة الاحتلال الفرنسي التي سعت إلى تشويه الحقائق وتغيب الوعي لتعميق الاحتلال .

والشيء ذاته بالنسبة للدراسات التي أنجزت حول المرأة الجزائرية والثورة، إذ لم تتعد الحيز الضيق الذي جسده الوقوف عند الوظائف التقليدية التي أوكلت لها خلال الثورة في الريف والمدينة، كالطبخ والتمريض والعمل الفدائي وغيرها من الأعمال التي ميزت حضورها وفعاليتها . وبذلك تكون تلك الدراسات والأبحاث قد أغفلت جانبا مهما في موضوع المرأة الذي شكّل مدار اهتمام إدارة الاحتلال الفرنسي منذ فترة طويلة، إدراكا منها لأهمية دورها المركزي وخطورته في الآن ذاته .

وفي هذا السياق، ينضوي الموضوع المبحوث والذي جاء موسوما بـ "إدارة الاحتلال الفرنسي وآليات كسب رهان المرأة الجزائرية 1954-1962" لبحث الإشكالية

التي شكلت مدار البحث، فما الخلفية التي ارتكز عليها الاهتمام بالمرأة الجزائرية؟ وما الأهداف المتوخاة من عملية استقطاب وتوظيف المرأة؟ وما مدى فعالية الآليات المعتمدة على طريق تحقيق الأهداف المرسومة؟ وما الاستراتيجية التي اعتمدها قيادة الثورة الجزائرية في مواجهتها لتلك السياسة الفرنسية التي شكلت تحديا حقيقيا على راهن ومستقبل الثورة؟.

نتوخى من خلال هذه الدراسة، إبراز دور ومكانة المرأة الجزائرية كعنصر فاعل مجتمعي، خاصة خلال فترة الثورة التي جعلتها ماثرا اهتمام في الداخل والخارج على حد سواء. كما نرمي إلى كشف المقاربة التي اعتمدها الاحتلال الفرنسي في تقويض أركان المجتمع الجزائري وضرب شوكة الثورة من خلال السعي إلى استقطاب المرأة من خلال جملة من الآليات تباينت شكلا ولكنها اجتمعت حول فكرة واحدة ورئيسة هي إحداث القطيعة بينها وبين الثورة.

وقد عالجت الموضوع في العناصر البحثية التالية :

- الحرب النفسية الفرنسية والمرأة الجزائرية : استقطاب وتوظيف.
- آليات استقطاب المرأة الجزائرية .

- إستراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة سياسة استقطاب المرأة الجزائرية.

1- الحرب النفسية الفرنسية والمرأة الجزائرية: استقطاب وتوظيف : أولت سلطات الاحتلال الفرنسي عموما، والقائمون على إدارة شؤون الحرب النفسية⁽¹⁾ بشكل خاص، الفرق الطبية المتنقلة أهمية كبيرة، إدراكا منها للدور الحيوي الذي تضطلع به، قياسا بالمجموعات الأخرى التي تتحرك في المجال ذاته. ولعلّ السرّ الكامن وراء الاهتمام الكبير الذي حظيت به الفرق الطبية، يعود إلى الوسط الذي شكّل مدار حركتها ونشاطها، وهو مجال حيوي واستراتيجي، من منظور الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية، ليس لكونه مرتبطا براهن الاحتلال في الجزائر فحسب، على الرغم من أهمية ذلك، في تطويق وخنق الثورة، بل لارتباطه الوثيق بالمستقبل، وذلك هو الأهم، على اعتبار أن النجاح في تحقيق الأهداف الآجلة، من شأنه أن يُبقي على المصالح الفرنسية على اختلاف طبيعتها، مصونة أمدًا. ونستشف ذلك من الدراسة التي أعدتها مصلحة "الصعوبات الإنسانية" التابعة للمكتب الثالث، بقيادة أركان القوات

المسلحة. والتي قُدمت لتكون أرضية ينطلق منها القائمون على العمل النفسي بالمكتب الخامس⁽²⁾ والتي أمكنني الاطلاع عليها وتصويرها بمركز الأرشيف العسكري الفرنسي بفانسان بباريس.⁽³⁾

وقد جاءت الدراسة موسومة بـ "العمل في الأوساط النسوية بالجزائر" "Action sur les milieux féminins en Algérie. وتوزعت على ثلاثة فصول. حيث انضوى الفصل الأول منها، تحت باب العموميات الخاصة بالوسط النسوي في الجزائر، وتركز الحديث على نحو مستفيض على الأهمية التي تشكلها المرأة في المجتمع الجزائري، باعتبار أنها تمثل نصف المجتمع، وهو ما يوجب استفرغ جهود معتبرة، وتوفير إمكانات كبيرة، سواء تعلق الحديث عن الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، التابعة مباشرة لجيش الاحتلال، أو تلك الأعمال التي تُنجز في ضوء مبادرات عمومية أو خاصة، مثل ملحقات الشؤون الجزائرية (Attachées des affaires Algériennes) ومُدرِّبات مصلحة تكوين الشباب في الجزائر (Monitrices du service de formation des jeunes en Algérie)، أو حركة التضامن النسائي (Mouvement de solidarité féminine).⁽⁴⁾

ثم عرجت الدراسة على مسألة هامة متعلقة بالاستعمال الجيد للوسائل والإمكانات التي ترصد لإنجاز المهمّات، سواء تعلق الأمر بالجانب الكمي أو النوعي لتلك الوسائل. وقد حازت الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، الحيز الأكبر من الدراسة، بالنظر إلى أهميتها والدور المنوط بها. وتجلى ذلك بشكل واضح، عندما اعتبرت أداة من أدوات "التهديّة"، التي استعملت في القضاء على الثورة، بدءاً بالمقاربة الأمنية التي ارتكزت على الخيار العسكري القمعي، للحد من توسع وامتداد الثورة على طريق استئصال شأفة العمل العسكري الثوري الذي انطلق في الجزائر يوم الفاتح نوفمبر 1954، وهو ما حمل القادة والمسؤولين الفرنسيين على اختلاف مستوياتهم ومن ثمة فإن مهمتها لا تنأى بعيداً أو تختلف كثيراً عن المهمة الملقاة على عاتق مسؤولي الدفاع الذاتي، نوادي الشباب، وجمعيات قدماء المحاربين، وكذا الحركي والقومية. وعلى هذا فإن مهمة تلك الفرق تتباين مع سابقتها من حيث الشكل وتتقاطع معها من حيث الهدف والموضوع، نتيجة للخصوصية التي تميزها.⁽⁵⁾

وقد أوضحت الدراسة محلّ البحث، أن مهمّة الفرق تتحدد من خلال الآتي :

أولا -وجوب الاتصال بالوسط النسوي في الجزائر، لتحقيق الأهداف الآتية :⁽⁶⁾

أ-معرفته: إن معرفة الوسط النسوي الجزائري معرفة شاملة ودقيقة، اعتبرت مسألة غاية في الأهمية، حيث يتوقف عليها نجاح القائمين على مهمّة العمل من التأثير عليه وتوجيهه على النحو الذي يخدم أهداف ومصالح إدارة الاحتلال الفرنسي .

ب-إعلامه بكل ما يحتاجه من معلومات على الوضع في الجزائر في ظلّ الثورة ،مع التركيز بشكل رئيس على العناصر التي من شأنها أن تزعزع ثقته في الثورة .

ت-تربيته: تشكل تربية الوسط النسوي في الجزائر أداة رئيسة في إعادة صياغة فكره وسلوكه، على شرط أن تكون التربية مضبوطة وموجهة، خدمة للاستقطاب والتوظيف .

ث-تنظيمه: السعي إلى تنظيم الوسط النسوي ضمن أطر قانونية جامعة، تسهلا لمعرفته وضبط حركته .

ج-قيادته : قيادة الوسط النسوي من طرف قيادة مستوعبة ومتشعبة بالثقافة والنموذج المجتمعي الفرنسي من شأنه أن يسهل عملية الاستقطاب بفعل التأثير الذي تحدثه تلك القيادات النسوية.

ثانيا-إن الوصول إلى تحقيق تلك الأهداف الجزئية من عملية الاتصال بالوسط النسوي، تمكنا من تهيئته لهدفين رئيسين هما :

أ- تمكينه في المرحلة الأولى من التكيف مع المعطيات الجديدة، بعد نقله إلى وسط جديد لم يعهده من قبل.

ب- تمكينه من أن يعيش على نحو واقعي، الحل للمشاكل الجزائري، في ضوء الصبغة الفرنسية. ولذا فإنه بات لزاما على أعضاء الفرق الطبية الاجتماعية، أن تُظهر للوسط النسائي الجزائري المستقبل العصري للحياة في الجزائر، الذي تقترحه فرنسا، بشكل محسوس وملمس، بعيدا عن التخمينات والطرح النظري، خاصة وأن البؤس والحرمان باتا يلازمان حياة الجزائريين. وعلى هذا فإن المساعدة الاجتماعية والطبية التي تقدم للوسط النسائي كفيلة بجذب الجزائريات وتحسين صورة سلطات الاحتلال الفرنسي لديهن.⁽⁷⁾

أما الفصل الثاني من الدراسة، فقد جاء تحت عنوان "الوسط". وذكر في الديباجة أن المهمة الملقة على عاتق سلطات الاحتلال، تتمثل أساسا في القيام بعمل كفيل بتحويل الجزائر من خلال تمكين السكان وبشكل خاص العنصر النسوي من الانتقال إلى مستوى آخر من العيش، قائم على نمط حضاري عصري، بصورة متدرجة، دونما صدمة للمرأة الجزائرية بسبب تربيته وتكوينها وعاداتها. وإنما إذ نصبو إلى بلوغ ذلك، فإننا نأخذ بيد المرأة الجزائرية من خلال الارتكاز على العناصر الآتية:⁽⁸⁾

أ- نسعى إلى تمكين المرأة، من الاعتماد على نفسها، من خلال منحها الثقة بنفسها.

ب- نضع بين يديها الأداة التي تمكنها من الاختيار الحر لمستقبلها، أي بمعنى أننا نعرض عليها صورتين متباينتين، الأولى تخص مستقبلها في ظل العيش داخل الإطار الفرنسي، وما يزره من مظاهر حياتية متطورة. أما الثانية فتخص مستقبلها في ظل العيش داخل الجزائر وبعيدا عن فرنسا.

أندافع عن المرأة ضد الأخطار التمييزية التي تهدد جميع الدول المتخلفة. وانطلاقا من هذا، فإن المهمة التمديدية التي نسعى لتمكين المرأة الجزائرية منها، تشكل في الأصل رهان الكفاح وأداته، لا شيء إلا لأن انخراطها ومشاركتها لنا عملنا، يعتبر عملا ضروريا يجي أن يلقى الاهتمام اللازم.⁽⁹⁾ أما الفصل الثالث والأخير من الدراسة، فقد جاء موسوما بـ "الوسائل" وهي على جانب كبير من الأهمية، إذ يتعذر إذا لم يكن مستحيلا إنجاز تلك المهمة الصعبة، بمعزل عن الوسائل والإمكانات.⁽¹⁰⁾

والمتتبع لمسار الحرب النفسية للاحتلال الفرنسي في الجزائر، يدرك صعوبتها وخطورتها العاجلة على راهن ومستقبل الثورة الجزائرية. ولعل ما يؤشر على ذلك، هو أن أدوات الحرب النفسية التي استعملت خلال الثورة التحريرية، كانت متنوعة وعديدة كما تختلف باختلاف درجة التأثير من حيث المحدودية أو الامتداد. وضمن هذا السياق، خليك بنا الإشارة إلى التقرير الذي أعده العقيد برافلي "Bravelet"⁽¹¹⁾ قائد الفيلق 151 للمشاة الميكانيكي، بإقليم قالمه والذي أرسله إلى الجنرال قائد الفرقة الثانية للمشاة الميكانيكية، وتمحور التقرير حول موضوع المرأة الجزائرية، من حيث السعي إلى استقطابها وتأهيلها تأهيلا شاملا، كفيلا بتوظيفها في

مشروع الثورة المضادة، من خلال إيجاد نخبة نسائية متغربة على المديين المتوسط والبعيد، تعلن الولاء للثقافة والحضارة الغربية فكرة وممارسة، وتعادي كل عمل أصيل يرنو التمسك بالثوابت والحفاظ على القيم.⁽¹²⁾

حيث تحدث التقرير عن اجتماع نظمته سلطات الاحتلال الفرنسي، توحى تجميع النساء لا غير، بمنطقة هيليوبوليس، وأقيم بساحة المدرسة خلال شهر أوت 1957، على الساعة الثالثة بعد الزوال. وقد كان فريق العمل النفسي مزودا بالأدوات والأجهزة اللازمة، من مكبري صوت، ميكروفون، وجهاز راديو. أما برنامج الاجتماع فقد كان على النحو الآتي: ⁽¹³⁾

أ-موسيقى مسجلة.

ب-نشرة ناطقة، ضمت أخبارا عامة حول الوضع العام في الجزائر، في مختلف الشؤون والمجالات، وأخرى محلية خاصة بالمنطقة.

ت-موسيقى:

ث-تعليق حول الأخبار الهامة.

ج-موسيقى مسجلة.

وبالنسبة للتعليقات على الأخبار الهامة فإنها كانت تتعلق بالشأن الأمني، من حيث الوقوف عند الحصيلة العامة ذات الصلة بالحالة الأمنية، امتدادا وانحسارا، والتي كانت تصل من عنابة، وكانت تعرض ضمن حصّة موسومة بـ"أعلمونا". بيد أن البث والتعليق كانا مدروسين بدقّة، دراسة قائمة على إضعاف إرادة السامعين من الحضور، من خلال التركيز على الأسرى الجزائريين خلال المعارك ومختلف العمليات العسكرية، فضلا عن عرض عمليات استسلام بعض مجاهدي جيش التحرير الوطني، في صورة تُظهر قوة عساكر الاستعمار، ومدى تحكمهم في الميدان، بل وسيطرتهم على الواقع من جميع الجوانب. وفي المقابل، يقدم المجاهدون في صورة الفاشلين العاجزين عن تحقيق أي تقدم، ومن ثم التركيز على دنو أجل المجاهدين الذين أطلق عليهم "الخارجين على القانون". ⁽¹⁴⁾

ولعلّ ما يلفت الانتباه في التقرير، هو تركيز العقيد برافلي كثيرا على سلوك وتفاعل الجزائريات اللائي حضرن الاجتماع، والذي كان حلقة ضمن سلسلة

للاجتماعات كثيرة، عكست حرص سلطات الاحتلال الفرنسي، على التفاني في العمل من أجل إنجاز مهمة استقطاب المرأة الجزائرية والتأثير عليها على نحو متدرج، لاستغلالها في هدم بُنى الثورة. ويمكن ضبط وتحديد الملاحظات التي استخلصتها من قراءتي لتقرير العقيد برافلي في النقاط التالية: ⁽¹⁵⁾

أ- إن الفكرة المستخلصة والتي انطلقنا منها أن للمرأة المسلمة تأثيرا كبيرا في البيت، وهو ما يوجب التعامل معها من خلال عمل مباشر خلال الاجتماعات المقررة.

ب- لم يكن بإمكان المرأة قبل سنتين من حضور أي اجتماع (1954-1956).

ت- الاجتماع الأول حضرته النساء على نحو ملزم، ولكن فيما بعد أصبح حضورهن بناء على رغباتهن.

ث- بعد الفراغ من الاجتماع كانت النساء تقبل لتطرح أسئلة، ولكن يعرضن الصعوبات التي تعترضهن على الضباط الحاضرين.

ج- جُربت السينما كأداة استقطاب وتأثير، ولوحظ انجذاب المرأة المسلمة إليها.

ح- في المرة الأولى أجبرت النساء على الحضور إلى قاعة السينما، ولكن في المرة الثانية، حضرن الاجتماع رغبة وكان عددهن ستة وعشرين. والواضح أن المانع الذي يحول دون حضورهن، الاجتماعات، هو الخوف من الزوج.

خ- بخصوص الذوق السينمائي، فإنهن يحبذن أفلام الحب، وينفرن من الأخبار الخاصة بالكفاح والثورة، مهما كان شكلها، لأنها تخيفهن.

د- بتاريخ 14 أكتوبر 1957، حضرت 120 امرأة مسلمة تجمعا على الرغم من أن الجو كان مطرا وباردا، فضلا عن موجة الزكام التي أصابت المنطقة. ⁽¹⁶⁾

وقد ختم العقيد تقريره بالإشارة إلى أهمية تلك التجمعات، خاصة وأن ما شدّهم أكثر هو الثقة التي يبدو أن المرأة الجزائرية بدأت تضعها في السلطات. كما ذكر في نهاية التقرير أن 25 في المائة من النساء الحاضرات في التجمعات كن يخلعن الحايك، دون أن يطلب منهن أحد فعل ذلك. ⁽¹⁷⁾

3- آليات استقطاب المرأة الجزائرية: وظّفت الاحتلال الفرنسي خلال فترة الثورة الجزائرية مختلف الإمكانيات المادية والبشرية والإعلامية والتي ما فتئت تزداد باضطراد مع مرور السنوات بالتوازي مع تطور و توسع نطاق الثورة، كما أن الطلبات التي

عكست الحاجة الماسة والاستعجالية، كانت تجد طريقها إلى التنفيذ ،دون أي صعوبات تذكر، نتيجة اعتقاد قيادة الاحتلال بسهولة المهمة وإمكانية النجاح في تحقيق الهدف المنشود من العملية في فترة قصيرة، مثلما كان عليه الاعتقاد بأن القضاء على الثورة مسألة غاية في السهولة ولا تستدعي التحويل على حدّ قول الحاكم العام روجي ليونير Roger Léonard⁽¹⁸⁾. وقد تمثلت تلك الآليات المعتمدة في الآتي :

1-3 الفرق الطبية الاجتماعية القريبة (les équipes médico-sociales itinérantes): تم إنشاء هذه الفرق ،سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين ،حيث ضمت طبيبا مساعدة مسيحية،ومساعدتين مسلمتين، يعيشون وسط جنود الاحتلال⁽¹⁹⁾ وقد ضببطت مهمة هذه الفرق، ضبطا دقيقا، في إطار الحرب النفسية الشاملة، ضد الثورة، حيث تمثلت في التركيز على النساء المسلمات الجزائريات، من خلال ضببط اتجاه الرأي العام النسوي الجزائري، والعمل على إخطار إدارة الاحتلال الفرنسي⁽²⁰⁾ لاتخاذ ما يكون مناسباً من قرارات قادرة على صياغة عقلية المرأة الجزائرية صياغة جديدة، تأخذ بعين الاعتبار معطى الاحتلال وما يستلزمه من مرونة فكرية، تعتمد تجزيء وتفتيت فكرة الاحتلال، مع عرضها وفق منهج قائم على التغفيل، وصولاً إلى التحبيب والترغيب، وأخرى عملية لإحداث التأثير المرجو.⁽²¹⁾

2-3 المساعدة الطبية المجانية (Assistance médicale gratuite): أنشئت هذه الفرق، في شهر جويلية سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، وأنيطت بها مهمة تقديم وتوفير المساعدات الطبية اللازمة والضرورية للشعب، سواء تعلق الأمر بالعلاج أو المتابعة الطبية، فضلا عن تقديم الدواء لكل حالة مرضية، على حدة . وقد تحمل هذه المسؤولية، أطباء عسكريون، منهم حوالي خمسين طبيبا من اللفياف الأجنبي، حيث عمل الكل تحت مسؤولية رئيس -الخاص-، وقد بلغت الاستشارات المجانية التي قدمت في هذا الشأن، تسعة عشر ألف (19000) سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، فيما بلغت سنة ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين (1300.000)، مليون وثلاثمائة ألف استشارة⁽²²⁾.

وقد بدت أهميتها وتجلت قيمتها في إمكانية إحداث التأثير المرغوب، وبخاصة في الوسط النسوي الجزائري، بفعل الاحتكاك الدائم والمباشر به، فضلا عن محاولات

إظهار الاعتناء الكبير والاهتمام الكافي بالحاجيات والضروريات، ذات الارتباط الوثيق بالمرأة .

3-3- الملحقات النسوية للشؤون الجزائرية (Attachées féminines des affaires Algériennes):

ثمة قواسم مشتركة بين الملحقات النسوية وفرق المساعدة الطبية، ذلك أن مهمة الملحقات تركزت بشكل أساس على التأطير والتربية وتقديم الإسعافات الأولية لذوي الحاجة، في الزمان والمكان المناسبين. ويندرج عمل الملحقات في سياق العمل المدني، وهو ما أكدته القرار الصادر بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين، والذي قضى بتعزيز وتعميق العمل المدني باعتباره أساسا وذا قدرة على التأثير والاستيعاب، حيث توخى القرار تحقيق تلك الأهداف، من خلال الملحقات النسوية التي أخضعت لمسؤولية ضابط الفصائل الإدارية المتخصصة.⁽²³⁾

4- إستراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة سياسة استقطاب المرأة: صرفت الثورة اهتمامها إلى الشعب الجزائري، لا لشيء إلا لأنه الحاضن والحامي لها، ونقف على تلك الحقيقة التي أدركها القائد محمد العربي بن مهيدي، عندما طفق يقول، أن إلقاء الثورة إلى الشارع حتى يحتضنها الشعب، تنم عن نظرة ثاقبة، في فهم آليات نقل الثورة من النخبة الثورية إلى الشعب، لأن بقاءها ضمن نطاق النخبة لا يخدم الفكرة الثورية البتة، ولا يسهم في دفعها وتطويرها. ذلك أن الثورة ينبغي أن تُنزل لتجسد في الميدان، من خلال اعتماد أسلوب الدعوة، الحوار، النقاش، والتوعية السياسية، فضلا عن الأداء العملي لمجاهدي جيش التحرير الوطني، كما ونوعا، حتى يكون الشعب على علم كاف بحقيقة الثورة المفجرة من حيث معرفة أهدافها معرفة كفيلة بجعله يتخندق في صفها ويدود عنها. وهو ما سيفرز على المدى القريب جدا، قاعدة شعبية ثورية، مؤمنة بخيار الثورة كخيار أوحده لإعادة بعث استقلال الجزائر وسيادتها. وقد سعى صناع الثورة سعيا حثيثا في الدنو من الشعب والاحتكاك به ودعوته وترغيبه في الثورة التي رأى فيها المخلص الوحيد من الوضع الكارثي على مختلف المستويات والأصعدة، الناتج عن الاحتلال الذي علا في الأرض وأهلك الحرث والنسل وأشاع في الجزائر الفساد.⁽²⁴⁾ وقد احتلت المرأة الجزائرية رُكنا هاما ضمن إستراتيجية الثورة التي أدركت خطورة تلك السياسة على راهن ومستقبل الثورة،

لذلك سعت إلى توظيف المتاح من الإمكانيات من أجل تحصين المجتمع عموماً والمرأة بشكل خاص، تحقيقاً لاستمرارية الثورة وتوسيعاً لنطاقها . ونلمس ذلك من خلال الآتي :

1-4 مراقبات المناطق: وفي تطور نوعي لافت، عكس عمق وعي الثورة بضرورة التحرك، باتجاه استغلال كافة الإمكانيات المتاحة وتوظيف الطاقات القادرة على إحداث التغيير الإيجابي في مسعى الثورة، خطا القائد عبد الحفيظ بوصوف، خطوات مشهودة في دفع المرأة باتجاه اختصاصات، لم تكن معروفة من قبل. وهو ما جعله محطّ اهتمام مختلف مناطق الثورة، التي رأت في العملية، قفزة جديرة بالتطوير، لمواكبة التطورات المشهودة التي عرفتها الثورة. حيث تمثلت تلك النقلة، في أنه خلال سنة 1956، عمد بوصوف إلى استغلال سائحة الإضراب التاريخي للطلبة في التاسع عشر ماي 1956، ليلتقي وينتقي بعضاً منهم ، رأى فيهم مواصفات التميز وخلال القدرة على التفوق .⁽²⁵⁾

ولعل ما جعلهن يتميزن بتلك الموصفات، هو سبقهن النضالي، حيث أنهن برزن من خلال نشاطهن وسط الحركة الطلابية في المغرب، ضمن الاتحاد الوطني للطلبة المغربية، في المرحلة الأولى، ثم ضمن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في المرحلة الأخيرة، قبل التحاقهن بصفوف الثورة. وقد شاركن في عملية الانتخاب الخاصة بتشكيل فرع وجدة لـ (إ،ع،ط،م،ج)، واستطعن الحصول على مقعدين مميزين، يبدوان من خلال الآتي :⁽²⁶⁾

الرئيس : عمر غربي.

نائب الرئيس: مليكة حجاج.

الأمين العام :عبد العزيز بوتفليقة.

المساعدون:طبيب بن يخلف، عبد المجيد قوار، لطيفة رحال ورشيدة ميري .

2-4 صرامة التكوين وفعالية الأداء: إن عملية انتقاء العناصر لإجراء التكوين، خضعت لشروط دقيقة وصارمة ومقابلة شخصية مع عبد الحفيظ بوصوف. وقد أسفرت العملية على انتقاء سبعة عشر عنصراً، منهم ثمانية فتيات وقد خضعت المجموعة لتكوين دام خمسة وأربعين يوماً، وعند نهاية التكوين، أجري امتحان كتابي

وأخر شفوي، إلى جانب تمارين عسكرية متقدمة جدا، كانت تدوم أحيانا إلى ساعات متأخرة من الليل. ودخل الفوج الولاية الخامسة، بعد أن عبر الخط المكهرب، بمعية نازع للألغام، تولى تأمين الطريق، بعد تحييد ونزع الألغام التي قد تعرقل سير ودخول الفوج، بل قد تعرض حياتهم للخطر.⁽²⁷⁾

وفي هذا الصدد، تجب الإشارة، أن المهمة المنوطة بهؤلاء، سياسية أكثر منها عسكرية، ذلك أنها ترمي إلى الانتقال إلى المناطق ومعاينتها على نحو شامل ودقيق، يغطي كافة الجوانب، منها التنظيم العام، المجال العسكري والمجال السياسي، إلى جانب بعض المهمات الخاصة، التي تخضع لمعطيات خاصة بكل منطقة على حده، كنشاط الحركة الوطنية الجزائرية، تحرك بعض الحركات والمخبرات. وتجمع تلك المعلومات والمعطيات، ذات الصلة بالمجالات والجوانب المحددة في تقرير عام يُطبع بالسرية حول الوضعية التي شكلت أساس مهمة المراقب.⁽²⁸⁾

وللتذكير فإن التقرير ركز بشكل أساسي، على المجال السياسي، حيث كُلف مراقبو المناطق بضرورة إيلاء الأهمية الكبيرة للمسائل التالية: ⁽²⁹⁾

- أ- تعداد مناضلي جبهة التحرير الوطني.
 - ب- الحالة النفسية للمناضلين.
 - ت- مستوى الروح القتالية.
 - ث- علاقات الشعب بجبهة التحرير الوطني.
 - ج- الحالة الصحية على المستوى الشعبي.
 - ح- الوقوف على دعاية العدو وسط الشعب.
 - خ- الاستعلام حول تسيير المجالس الشعبية وحضورها على مستوى الشعب.
- 3-4 أفاق التكوين: وذكرت مليكة حجاج، التي اضطلعت بمهمة مراقبة منطقة في شهادة لها: "عندما نكون في الوسط النسوي، في أي دوار، نتخلى عن لباسنا العسكري، ونلبس لباس النساء المحلي، حتى لا نثير انتباه أي أحد، قد يوشى بنا، أوفي حالة حدوث أي تمشيط مفاجئ لقوات الاستعمار، ذلك أن القمع يكون شديدا، إذا علمت سلطات الاحتلال، أن دوارا ما يقدم الدعم والإيواء للثوار...".⁽³⁰⁾

وحول الفكرة ذاتها، ذكر المجاهد دحو ولد قابلية، في سياق الحديث عن تطلع قادة المنطقة الخامسة، إلى السعي نحو النهوض بالثورة إلى مستويات عالية، من خلال اعتماد أسلوب التكوين: "إن الانشغالات الرئيسة لقائد المنطقة الخامسة، محمد العربي بن مهيدي، ونائبه عبد الحفيظ بوصوف، تمحورت حول ضرورة تسليح مجاهدي المنطقة، إلى جانب غياب الربط والاتصال، ولكن بمجرد تحقيق عنصر التسليح، انتقل القائد إلى المرحلة الثانية، القائمة على اعتماد سياسة التكوين، بالاعتماد على الإمكانيات البشرية الهامة التي أنتجها إضراب الطلبة والثانويين في شهر ماي 1956".⁽³¹⁾

الخاتمة: تبين لنا من خلال الدراسة، أن الاهتمام بالمرأة الجزائرية من طرف إدارة الاحتلال، لم يكن قطّ وليد الصدفة أو الارتجال، وإنما كان عملاً مؤسساً قائماً على العلم والبحث، في ضوء رؤية شاملة تتوخى المصلحة العليا لفرنسا عاجلاً وأجلاً، باعتماد مختلف الإمكانيات والآليات المساعدة والكفيلة بدفع وتطوير مهمة استقطاب وتوظيف المرأة في مشروع الثورة المضادة، من خلال التماثل والتماهي مع عناصر وخصائص الثقافة الفرنسية، على نحو دافع باتجاه التمكين للاستعمار الجديد بيد أن الثورة أدركت صعوبة وخطورة مهمة الاحتلال، من حيث تداعياتها على رهن الثورة الجزائرية ومستقبلها، لذلك لم تخلد ولم تترك، بل ما فتئت تمعن النظر في الواقع دراسة، تحليلاً وبحثاً عن الحلول الممكنة والسليمة بغرض درء الخطر والسعي باتجاه التقليل من وطأته على الجزائر. ولعلّ حضور المعطى العقائدي كان له الدور البارز في أن يكون حائلاً دون الذوبان في المشروع السوسيوي ثقافي الكولونيالي الفرنسي الذي لم يتوقف بعد استعادة الجزائر للاستقلال في الخامس جويلية 1962.

الهوامش

1-1H2461,dossier n°1, **Action sur les milieux féminins en Algérie**, E. M, 3^{ème} bureau section « problèmes humains ».

2 جمال قندل "الوثائق الأرشيفية الخاصة بخطي موريث وشال المحفوظة بمركز الأرشيف العسكري بفانسان، باريس"، في، الأرشيف وإشكاليات كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 28 نوفمبر 2016، منشورات مخبر الدراسات والبحث في تاريخ الثورة الجزائرية، المسيلة، 2018، ص 38.

3-1H2461,dossier n°1, **Action sur les milieux féminins en Algérie**, E. M, 3^{ème} bureau section « problèmes humains ».

4- Ibid,p1.---5- Ibid,p5.---6- Ibid.---7- Ibid.---8- Ibid,p9.---9-Ibid.

- 10 1H2461 ,dossier n°1, reunion des femmes à Héliopolis du 26. Octobre 1957, 10 R. M.E. M, secteur de Guelma.
- 11-Ibid, p 1.---12- Ibid, p2.---13- Ibid, p3.---14- Ibid, p9.---16--Ibid.---17-Ibid.
- 18- Jean pierre vittori : **Nous les appelés d'Algérie**, éditions temps actuel ,Paris, 1983, p11.
- 19- SHAT 1H2461, dossier n°1 « centres sociaux E.M.S.I ».
- 20- Ibid.
- 21- Ibid.
- 22- Ibid .
- 23-Ibid.

24 جمال قندل، المرجع السابق، ص 372.

25 نفسه.

26 نفسه، ص 373.

27 نفسه، ص 374.

28 نفسه.

29 نفسه، ص 375.

30 المناضلات اللواتي شكلن مدار الحديث، هن : مليكة حجاج، حجاج ، ولدت سنة 1939، بالمغرب. يمينة شلاي ، ولدت سنة 1939 بالمغرب، خديجة شلاي، ولدت سنة 1937 بوجدة في المغرب، واستشهدت سنة 1957. رشيدة ميري ، ولدت سنة 1937، بوجدة في المغرب ، عوالي عويسي ، ولدت سنة 1940 بتلمسان، وسقطت شهيدة سنة 1957، فريدة قديري ، ولدت في وجة بالمغرب ، ولطيفة رجال، ولدت هي الأخرى بوجدة في المغرب. أنظر: **Le rôle de la femme Algérienne dans la révolution 1954-1962**, série projet nationaux de recherche, édition spéciale du ministère des moudjahidines ,Alger ,2007, p18.

31-Messaouada Yahiaoui, op.cit